المسلم كما يراه اقبال

للأستاذ محمد احمد بلوى

المسلم يجب أن يكون فى هذا العالم نسيج وحده . لأنه صاحب الرسالة الجامعة .. وصاحب الكتاب الذى جمع فأوعى ، يجب أن يكون المسلم فى هذا العالم ، هو القدوة فى صلاح الانسانية ، يجب أن يكون زعيم الركب ، لا أن يكون فى مؤخرة الصفوف . لأنه هو المختار لتلك الايام وما بعدها ـ ليوم القيامة ـ إختاره الله ليكون شهيدا على الناس . يعلمهم ما فيه صلاحهم وسعادتهم . دنيا وأخرى . فالمسلم صورة الحق فى هذه الحياة ، والمؤمن ما خلقت الحياة الا له فهو العالم بسرها ، والعالم بمواطن الخير فيها ، ويقول شاعر الاسلام إقبال فى ذلك : « ان العالم تراث للمؤمن المجاهد لا يشاركه فيه أحد ولا أعد مؤمنا كاملا من لا يعتقد إن العالم خلق له » .

نعم ! لا غلو فى هذا الايمان العميق والفهم الرفيع لمكانة المؤمن فى هذه الحياة . بذلك آمن المسلمون الاوائل فبلغوا المكانة الكريمة فى هذه الحياة ، وسعد الناس بمبادئهم السماوية ودعوتهم الايمانية .

يقول اقبال فى ذلك : ان يد المؤمن تمثل القدرة الالهية ، فهى غلابة دائما ، قادرة أبدا ، فتاحة للابواب المقفلة لبقة صناع حاذقة ، ان المؤمن جسمه من تراب ، ونظرته من نور ، انه عبد متخلق بأخلاق مولاه قلبه غنى عن العالمين .

نعم انها صفة المسلم المؤمن لا عصبية فيها ولا غلو لأنه امتاز عن الناس برسالة كريمة خاتمة الرسالات ، جمعت دعوات الانبياء والمرسلين من لدن أدم حتى ظهورها ، ولهذا لن ينقرض المسلم من هذه الحياة أبدا ، لأنه رمز لهذه الرسالات ، واقبال يؤمن بذلك اذ يقول : « لا يمكن أن ينقرض المسلم من العالم لأن وجوده رمز لرسالات الانبياء وان آذانه اعلان للحقيقة التى جاء بها ابراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم وسلم » .

نعم ان المسلم حق فى هذه الحياة وكل شىء دونه سراب ووهم خادع ، فالمسلم رمز للحق بين الانسانية ، واقبال يؤمن بذلك فيقول : انك أيها المسلم حق فى العالم وحدك وماعداك سراب خادع ووهم زائف .

والمسلم بايمانه يدور الحق حوله ، لان الايمان هو المنطقة التى يدور حولها الحق وما عداه فى هذا العالم المادى سراب خادع .

ما أروع هذا الايمان وما أظمأنا له نحن الذين تركنا مثلنا الرفيعة وراء ظهورنا وسرنا فى عجلة المادة من غير فهم فسحقتنا من غير أن نعلم ونحن فى سكرة خادعة .. وأفقنا من سكرتنا ونحن على هذا الحال المزرى .

ما أحوجنا لمعرفة قول اقبال : ان ايمان المسلم هو نقطة دائرة الحق وكل ما عداه فى هذا العالم المادى وهم وطلسم ومجاز .

نريد ياأخى القارى. أن نفهم رسالتنا ونربى أنفسنا عليها ، أحسن تربية لنكون فى الحياة دعاة اصلاح ورسل سلام .

ويقول اقبال فى ذلك : « اذا أحسن المؤمن تربية شخصيته وعرف قيمة نفسه لم يقع الا فيما يرضاه ويحبه .. » حقا هذا فالمسلم هو الشهيد على هذه الانسانية فهو خليفة الله فى أرضه .. فالمسلم المؤمن هو قضاء الله فى هذه الحياة .. والمسلم الضعيف يعتذر دائما بالقضاء والقدر . أما المؤمن القوى فهو بنفسه قضاء الله الغالب وقدره الذى لا يرد .

أخى القارىء لا شك ان الاسلام يريد منا ايمانا حقيقيا حتى تدوى أرجاء المعمورة باسم الله فيستجيب لمبادئنا العالم ويزول عن الانسانية حياتها المظلمة الحالكة السواد . ويسود السلام الأرض وتعلو كلمة الحق ويومها لن يكون هناك طغاة يمسكون بأسباب الدمار والحروب ، ويومها لن يكون هناك خطف دولى واقتناص لأقوات الشعوب الآمنة .

واقبال يقول : « لست أعلم بالتأكيد مصدر هذا الصبح الذى يطلع على هذا العالم كل يوم ، ولست أعلم سره ولكنى أعلم ان السحر الذى يهتز له هذا العالم المظلم ويولى به ليل الانسانية الحالك انما ينشأ بآذان المؤمن الصادق ان المؤمن اذا نادى الآفاق بآذانه أشرق العالم واستيقظ الكون » .

نريد ياأخى القارىء - احياء مكانتنا فى هذه الحياة لأن الاسلام لم يقتصر على الصدر الأول أبدا .. ان الاسلام يعود باعادة تعاليمه فى نفوسنا . ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أمتى كالمطر لا يدرى أوله خير أم آخره » ، فاتحاد المسلمين هو خير وسيلة لنجاحنا واسترداد عزتنا المفقودة ودولنا المهضومة وان من أسباب التفرقة أن نجد دولا اسلامية ترتمى فى أحضان أعداء أخوة لهم . يقول اقبال : « المسلم لا تعرف أرضه الحدود ولا يعرف أفقه الثغور . ليست دجلة والنيل ودانوب الا أمواجا صغيرة فى بحره المتلاطم عصوره عجيبة وأخباره غريبة نسخ العهد العتيق وغير مجرى التاريخ هو فى كل عصر ساقى أهل الذوق وفى كل مكان فارس ميدان الشوق ، شرابه رحيق دائما ، وسيفه ماضى فى كل معركة » ، هذا هو المسلم كما صوره شاعر الاسلام وآمن به . فالمسلم وطنه العالم كله - ويقول شاعر الاسلام أيضا - المسلم الربانى ليس بشرقى ولا غربى ، ليس وطنى دلهى ولا أصفهان ولا سمرقند انما وطنى العالم كله .

هذا هو المسلم كما يراه اقبال وكما يريده الاسلام ..

محمد احمد بدوى